

مكتبة غذاء الأرواح وحياتها

خواطر حول

من لبان الشرع الشريف

أركان بيعة الإخوان

هشام النجار

المهندس

مكتبة خاصة
خالد ابراهيم أبو عرفة

القدس – فلسطين

1335 هجرية – 2014 ميلادية

مكتبة غذاء الأرواح وحياتها

الحمد لله رب العالمين..
والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين..

وبعد،

فهذه أركانٌ عشرة، سطرّها الإمام الشهيد حسن البنا رضي الله عنه. اشترطها على كل مسلم يرغب في الانضمام لجماعة الإخوان المسلمين والعمل من خلالها على استئناف دعوة الإسلام المجيدة.

من لبان الشرع الشريف

والأركان هي: الفهم، الإخلاص، العمل، الجهاد، التضحية، الطاعة، الثبات، التجرد، الأخوة والثقة.

وقد فكرت طويلاً في هذه الأركان العشرة. عددها وتتابعها. فلم أجد ركناً أدرج ترفاً دون حاجة. ولم أجد ضرورة لجمع ركنين في ركن واحد. أو إضافة ركن آخر يكون الحادي عشر في الأركان.

ونظرت في تواليها وتتابعها. فلم أجد ركناً في غير محله. أو تقدم على غيره من الأركان أو تأخر عنها. فانتابني عجب من جملة هذا التناغم المحكم. وأدركت أن الإمام البنا قد أعدّها وألف بينها بعد فكر دقيق ونظر عميق. ولعله قد ألهمها ووفق إليها. كيف لا وهو الرجل المُلمّهُمُ المُوفق، صاحب البناء الحسن والهمة العملاقة.

وكنت فيما سبق، وفي أول عملي في الجماعة أحاول أن أذكر الأركان العشرة عن ظهر قلب، فأجد صعوبة في ذلك، عدى عن صعوبة ذكرها متتالية. فلما اهتديت إلى أنها أركان معدودة مضبوطة متوالية غير عشوائية، صرت أجد الرابط بين الركن والذي يليه، فأذكرها دون تلوّك ولا تردد. ولو غبت عنها الشهور والسنين.

وصرت إذا أردت أن أشرح ذلك للإخوان حولي، أتمثل صورة "أمير" في الإخوان جالساً وأمامه شابٌ مناصر يريد مبايعة الجماعة على السمع والطاعة والعمل على تحقيق الأهداف. وقد شرح له الأمير فكرة الدعوة وغايتها ووسائلها ومراحلها. وأعلمه أن أول خطوة في العمل "فهمٌ سليم"، إذا صحّ تبعه باقي العمل الصادق الموفق إلى منتهاه.

- الأمير مخاطباً الشاب: أتبايعنا على هذا ركن (الفهم)، ركناً أولاً.. ولا تحيد عنه؟
- الشاب: نعم أبايعك على ركن (الفهم).

مكتبة غياض الأرواح وحياتها

الأمير: عليك أن تعلم أننا لا نكتفي بركن (الفهم)، إذ قد يستوي معك غيرك في ذلك ممّن هم خارج الجماعة، إلا أن تبايعني على ركن (الإخلاص) في هذا الفهم، وكذلك الإخلاص لما يستدعيه من عمل وتبعات.

الشاب: نعم، أبايعك على ركن (الإخلاص) وما يستتبعه.

الأمير: وعلامة الإخلاص في هذا الفهم والإخلاص له، القيام بالعمل، ونحن لا نكتفي بإخلاص يتبعه قعود، وإنما بإخلاص يتبعه عمل. وهكذا يلزم البيعة على ركن (العمل).
الشاب: نعم، أبايعك على ركن (العمل).

الأمير: والعمل كما هو بدهي درجات متنوعة. وأقل درجاته حضور الدروس والمواظب، وكذلك الإعانة في اليسير من الأمور، وأعلى درجاته الجهاد في سبيل الله. وكل ذلك في منشطك ومكرهك.
الشاب: نعم، أبايعك على كل درجات العمل، وعلى الجهاد في سبيل الله.

الأمير: هل خطر ببالك وأنت تبايع على الجهاد أنك قد تخرج منه بتضحيات مختلفة.. من وقتك أو مالك أو جهدك أو نفسك..؟ ولذا يلزم أن تبايع على التضحية، فإنها من لوازم الجهاد وتوابعه..؟
الشاب: نعم، أبايعك على ركن (التضحية). وأنا إن شاء الله جاهز لها، وإنما أسأل الله العفو والسلامة، فعافية الله أوسع لي.

الأمير: صحيح، اللهم آمين. ونحن كذلك نسأل الله لك العفو والعافية. بل من واجبنا أن نحرص على سلامتك وعافيتك ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً. لكننا نخشى أن تجاهد معنا على طريقتك متجنباً الضرر والخسارة، وباحثاً عن العافية والسلامة، وما هكذا يكون الجهاد. فالتضحية إذا نتجت عن جهاد صحيح، فنعمت التضحية ونعم الجهاد. والجهاد الصحيح ليس ما تقررته أنت وتراه، إنما الجهاد ما تراه الجماعة وتأمرك به. لذا يلزمك أن تبايع على ركن سادس هو (الطاعة)، فتطيع أميرك بما أمرك وحيث أراك. ولا نزال نسأل الله لك العافية والسلامة، مع إدراكنا وإيماننا أن أعظم الناس أجراً وأكرمهم درجة أولئك الذين باعوا الله أنفسهم وأموالهم.
الشاب: نعم، إذن أبايع على ركن (الطاعة).

الأمير: هيا نستذكر ما تبايعنا عليه.

الشاب: نعم.. (الفهم)، (الإخلاص)، (العمل)، (الجهاد)، (التضحية)، (الطاعة).

الأمير: إذن أنت تعي وتدرك أن الجماعة دون استعداد كاف من أنصارها بهذه الواجبات لن تتقدم ولن تحقق أهدافها..؟

الشاب: بلى، أويديك، وأعي ذلك تماماً.

مكتبة غدا الأرواح وحياتها

الأمير: حسناً، بعد هذه الأركان الستة، نُشرف على ركنين آخرين لا بدّ منهما، سابع وثامن، وهما (الثبات) و(التجرد)، وجوهر ذلك نفهمه من المثال التالي: لو أن أخاً بايع على الأركان السابقة، وجاهد جهاداً صادقاً، ثم أنه أطاع والتزم التوجيهات فكان نتيجة ذلك تضحية منه في المال والبدن. وقد يعيش بعد ذلك فقيراً أو مصاباً بإصابة أفقدته يده أو بصره أو ربما اقعدته. وهذا بدوره قد يكون مدخلاً للشيطان. وربما قنط ودخله اليأس. فله علينا أن نحمله من ذلك ونسنده. ولنا عليه أن يتحصن فيبايع على ركن سابع، ألا وهو ركن (الثبات). الثبات على الفكرة وعلى الأركان. وأن يذكر أن هذه التجارة ليست تنتهي مع انتهاء البضاعة فور دفع الثمن. ولكنها تجارة يطول زمنها وتستغرق أجيالاً. وتتقضي فيها معارك ومراحل، حتى يأذن الله بإحدى الحسنين، إما النصر وإما الشهادة، فوجب المبايعة على ركن (الثبات)؟

الشاب: وما لي لا أبايع على ثباتٍ.. وصبر جميل؟

الأمير: حسناً، هنا ألفت نظرك إلى ركن ثامن، يشبه في صفائه ركن الإخلاص، ألا وهو ركن (التجرد)، وتفسير ذلك أنك لما بايعت على ركن (الثبات) خشية أن تقع النفس في القنوط أو الجزع، نتيجة التضحية والضرر في المال أو العافية، فإنك لربما تمرّ السنون وترى بعضاً من إخوانك ممّن جاهدوا معك ولم يتضرروا بما تضررت أنت، ولم يضحوا بما ضحيت، ولربما اعطاهم الله بعد ذلك مالاً كثيراً وفضلاً كبيراً، عندها يلزم منك الرضا بما قسمه الله لك، وتعلم أن ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وأن الله يعجل لمن يشاء في الدنيا أجره أو بعض أجره، ومنهم من يؤخر له ذلك درجات في الجنان، فإن الأمر كله لله يجعله حيث يشاء. وهكذا فإنك إذ تبايع على ركن (التجرد)، يكون لك معونة وذكرى.

الشاب: إذن أبايع بعون الله على ركني (الثبات) و(التجرد).

الأمير: ألفت نظرك هنا إلى أن الأركان الثمانية الأولى تخصّ الأخ المسلم بصفته فرداً مستقلاً. كلها مطلوبة منه وحده. ثم يأتي الركنان الأخيران، التاسع والعاشر، للجمع بين الأخ وباقي إخوانه في الجماعة. فإنه لا يُتصوّر لك أن تعيش وتعمل وسط إخوان لك متنوّعين في طباعهم وأمزجتهم، دون أن تربطك بهم رابطة "الأخوة في الله". وهي أوثق الروابط وأرقاها. وميزة هذه الرابطة عن غيرها شمولها لمعاني الودّ والمحبة واللين والتواضع وصدق المشاعر وسلامة الصدر وسعته، إضافة إلى الإيثار في صوره المختلفة. وتحدث هنا إن عن الركن التاسع، ركن (الأخوة).

الشاب: قد بايعت.

الأمير: جميل، والله على ما نقول وكيل. وأما الركن الأخير المرتبط كذلك بإخوانك من حولك، فهو ركن (الثقة). إذ لا يتصور أن تكون وسط إخوانك الذين بايعت على أخوتهم، ومنهم من يكون قائدك، وبين أيديهم الكثير من أسرارك وما يتعلق بمصيرهم ومصيرك، إلا إذا كانت الثقة بينهم في أوجها. وهو ركن بالغ الأهمية. وبه تختتم الأركان وتحصن من التهور الإشاعات. وهكذا تبنى الأركان بناءً مرصوفاً أساسه حسن الظن والاطمئنان إلى الإخوان وصحتهم.

الشاب: صحيح، وعلى ذلك أبايع، وبالله المستعان.

مكتبة غذاء الأرواح وحياتها

الأمير: وهكذا ترى أن عقد الأركان العشرة عقد محبوبك تمام الحبك، لم يتقدم فيه ركن على آخر. ولم تحدث ثغرة بين ركنين فتحتاج لركن ثالث يسد الثغرة. ولو تذاكرنا الأركان معاً جملة واحدة فربما اجتمع لدينا معنى متصل متكامل، وهي كالتالي: لا بيعة إلا (بفهم)، ولا جدوى من فهم دون (إخلاص) فيه، وهل ينجو إخلاصاً لم يُصدِّقه (عمل)، وإنما العمل درجات وطبقات تنتهي إلى (الجهاد)، ولا جهاد دون (تضحية)، والتضحية المعتبرة ما كانت عن (طاعة) أمير، فإن تحقق ذلك وجب (الثبات)، وإن طال الثبات وخيف تغير الأحوال لزم (التجرد)، ولا جماعة دون (أخوة) صادقة بين أفرادها، ولا يصل الأفراد إلى بنائهم المرصوص دون (ثقة) بينهم وبين وقادتهم.

وإذا تحصل لك الفهم لما أسلفنا، فاستمع معي إلى هذا الدعاء الدافئ الذي دعا به الإمام البنا وعلمه لإخوانه. وانظر معي إلى المعاني الروحية الجميلة التي سكتها أركان البيعة في هذا الدعاء، وقد وصّى الإمام رضي الله عنه إخوانه أن يدعوا بهذا الدعاء في خاتمة كل لقاء يذكرون فيه بينهم مأثورات الصباح أو المساء، وفيه:

"اللهم إنك تعلم أن هذه القلوب قد اجتمعت على محبتك، والتقت على طاعتك، وتوحدت على دعوتك، وتعاهدت على نصره شريعتك..

فوثق اللهم رابطتها، وأدم ودها، وهدها سبلها، وأملأها بنورك الذي لا يخبو، وأشرح صدورها بفيض الإيمان بك وجميل التوكل عليك، وأحياها اللهم بمعرفتك، وأمتها على الشهادة في سبيلك، إنك نعم المولى ونعم المصير".

تمت بحمد الله

1335 هجرية – 2014 ميلادية

مكتبة خاصة